

## نشریه ادبیات پایداری

دانشکده ادبیات و علوم انسانی

دانشگاه شهید باهنر کرمان

سال دوم، شماره سوم، پاییز ۱۳۸۹

سال دوم، شماره چهارم، بهار ۱۳۹۰

### جلوه‌های ادبیات پایداری در شعر جوزف الهاشم\* (علمی- پژوهشی)

دکتر تورج زینی‌وند

دانشیار گروه زبان و ادبیات عربی دانشگاه رازی کرمانشاه

#### چکیده

جوزف الهاشم، یکی از شاعران برجسته مسیحی لبنان در روزگار ما می‌باشد که در ژرفای شعر متعهد و مقاومش، پیوندی از اندیشه‌های مسیحی و ارزش‌های دین اسلام ارائه می‌دهد. این شاعر توانمند توانسته است، دوستی و ستایش اهل بیت(ع) را با روح پایداری و پایمردی مردم فلسطین و لبنان، پیوند دهد. وی در اندیشه اساسی شعرش، بر آن است تا با فراخوانی شخصیت‌های دینی- تاریخی تشیع و نكوهش تسلیم و سازش در برابر رژیم صهیونیستی، اراده ملت‌های اسلامی را علیه اشغالگران برانگیزاند و روح امید و میهن دوستی را در میان ایشان بدمد. بیشتر اندیشه‌هایی که شاعر در چکامه‌هایش، مطرح می‌کند، برگرفته از سیره اهل بیت(ع) است. چنین مضمون‌هایی از سوی یک شاعر مسیحی، ارزشمند و ستودنی است.

محورهای اساسی این پژوهش، عبارتند از:

۱) پیشگفتاری درباره کلیات پژوهش و معرفی جایگاه شاعر و اشاره‌ای گذرا به برخی از شاعران مسیحی معاصر که توانسته‌اند ادبیات متعهد شیعی را با ادبیات پایداری پیوند دهند.

۲) پردازش و تحلیل موضوع از دو زاویه: الف) بررسی و تحلیل پیوندهای ادبیات شیعه و پایداری در شعر شاعر. ب) تحلیل تعهد ملی و وطن دوستی شاعر که همراه با بیان افتخارهای تاریخی گذشته لبنان و فلسطین و نكوهش و محکوم نمودن سکوت و سازش در برابر اشغالگران می‌باشد. واقعیّت چهره این اشغالگران در شعر جوزف الهاشم، چیزی جز دروغ، تجاوز، فساد و نیرنگ نیست.

#### واژگان کلیدی

جوزف الهاشم، ادبیات پایداری، علویات، اهل بیت(ع)، شعر شیعی، میراث دینی و تاریخی..

## مظاهر أدب المقاومة فی شعر جوزف الهاشم

الدكتور توج زینی‌وند

الأستاذ المشارك بجامعة رازی

### الملخص

الشاعر المسيحيّ اللبنانيّ، جوزف الهاشم، يحمل في صميم شعره الملتزم و المقاوم، روحاً مسيحيّة تلتقى بالقيم الإسلامية و الدّينية في عمق مسيرة التّاريخ و متطلّبات عصرنا الرّاهن؛ لقد امتزج شعره الملتزم بحبّ آل البيت(ع)، بروح المقاومة و البطولة و الأمل و الرّجاء، و قد يتبيّن لنا أنّ الفكرة المسيطرة على شعره هي أنّ تستنهض همم الشّعوب الإسلاميّة ضدّ ارادة المحتلّين الإسرائيليّين باستدعاء الشّخصيّات الدّينية - التّاريخيّة الشّيعيّة، ثمّ بالتّحديد الخنوع و المساومة أمام قضيّة الاحتلال. و الملاحظة الهامّة التّي لا بدّ من تسجيلها هنا هي أنّ شعره يغرس في نفوس المخاطب الخبير، أفكاراً بناءة استقاها الشّاعر من معين مناهج أهل البيت(ع) العذب. و ما أعظم تلك حين تخرج من الشّاعر المسيحيّ الّذي يجمع بين الشّعر الشّيعيّ و بين أدب المقاومة.

و أمّا هذا المقال فإنّه يسلّط الأضواء على المواضيع التّاليّة؛

أولهما: مقدّمة في كليّات البحث ثمّ التعريف بمكانة الشّاعر، جوزف الهاشم، و إشارة عابرة إلى بعض معاصريه في الأدب الملتزم الشّيعيّ و أدب المقاومة.

و ثانيهما: عرض الموضوع و تحليله من جهتين: (أ) المزج بين الأدب الملتزم بحبّ أهل البيت(ع) و أدب المقاومة في شعر جوزف الهاشم. (ب) حبّ الشاعر للشّعب العربيّ و الوطن اللبنانيّ و الماضي المجيد، ثمّ رفض الخنوع و الصّمت و الرّضوخ أمام قضيّة الاحتلال و المحتلّين الّذين يصفهم الشّاعر بالكذب و الاعتداء و الفساد و المكر.

الكلمات الأصليّة: جوزف الهاشم، أدب المقاومة، العلويات، أهل البيت(ع)، الشّعر الشّيعيّ، التّراث الدّينيّ و التّاريخيّ.

## المقدّمة

كلّ من يتصفّح دواوين الشعّر العربيّ - قديماً كان أو جديداً - و يطيل النظر يرى فيهما الاتّجاهات الشعّرية المتعدّدة. و من جملة هذه الاتّجاهات الشعّرية التي يعود تاريخها إلى ما قبل بزوغ فجر الإسلام، هي النزعة النّصرانية أو المسيحية التي تكاد أن تكون نزعة مستقلّة في الأدب العربيّ.

ولا أريد هاهنا أن أتوغّل في أعماق تاريخ الأدب و أستفيض في ذكر الشعراء النّصرانية و الخصائص الشعّرية لهم، بل أريد أن أضيف شيئاً جديداً إلى بحوث الدارسين الذين بحثوا عن الأدب العربيّ لدى المسيحيين، و هو لون المقاومة في الشعّر العربيّ المعاصر. فهذا اللون يشبه بلون المقاومة عند المسلمين حيث راح يستنهض همم الشعوب العربية و الإسلاميّة ضدّ إرادة المستبدين و الطّغاة صارخاً بوجه الظّالمين و الغاصبين داعياً أبناء الأمتة الإسلاميّة إلى نبذ طوق المذلّة عن أعناق الكرامة و العزّة. و من معالم هذا الأدب الملتزم، شاعرنا جوزف الهاشم، الشّاعر المسيحيّ المعاصر، بلبنان.

ولد شاعرنا، جوزف الهاشم (الوزير السّابق) سنة ۱۹۳۵م، في قرية «برجين» (منطقة الشوف) بلبنان في أسرة يقال إنّها تنتمي إلى دوحه الإسلام و الشيعة من حيث العقيدة و الثقافة. و بعد أن أتمّ دراساته الابتدائية انضمّ إلى مدرسة «الحكمة» و تابع فيها دراساته التّانوية، ثمّ اختار فرع اللّغة العربية و آدابها بجامعة «سن زوزف» و لما تخرّج منها أخذ يدرّس في المدارس و المراكز العلمية و يعمل في الجرائد و الصّحف و انضمّ إلى حزب «الكتائب» فدشّن قسم «صوت اللّبنان» من إذاعة اللّبنان و عكف على النّشاطات السّياسية و الثّقافية و شغل بعض المناصب الحكوميّة، مثل؛ وزارة الاقتصاد، وزارة البرق و البريد، وزارة الشّؤون الاجتماعيّة و العلاقات و عديدة من المناصب السّياسية. و الجدير بالذّكر أنّه سافر إلى السّوريا و إيران و شارك في عديد من المؤتمرات الثّقافية و الأدبيّة منشداً قصائد رائعة في مديح آل البيت (عليهم السّلام) و ملاحم لجنود المقاومة بجنوب لبنان و فلسطين. و الّذي تجدر الإشارة إليه أنّ هناك شاعراً لبنانياً آخر بهذا الاسم نفسه (جوزيف

الهاشم: ١٩٢٥) ملقباً «بزغلول الدامور» و هو لا يعنيننا فى هذا المقال. أشهر آثاره؛

١. الفارابى؛ دراسة و نصوص (١٩٦٨م).  
٢. العلويّات؛ مجموعة شعرية تضمّ مديح الإمام المرتضى و سيّد الشهداء و عقيلة بنى هاشم (عليهم السّلام) و كذلك فى بطولة المقاومة (١٩٩٩م)؛ الإنسان الكونى أو إمام لكل زمان: ١٩٩٨م / القرآن البشرى (ذكرى ولادة الإمام على بن أبى طالب، دمشق، مكتبة الأسد الوطنية): ١٩٩٦م / ضوء من الضوء (ذكر ولادة الإمام على(ع): مؤتمر المستشارية الثقافية للجمهورية الإسلامية الإيرانية، دمشق، مكتبة الأسد: ٢٢ كانون الأوّل): ١٩٩٣م / ذكر أهل البيت (مشعل الثّورتين، بين زينب و الحسين؛ مقام السيّدة زينب، دمشق، ٢٨ كانون الأوّل: ١٩٩٦م / عرس قانا (المهرجان الوطنى العربى فى اليوم العالمى للتضامن مع الجنوب؛ المعهد الفنّى الإسلامى، بيروت، ١٤ آذار: ١٩٩٧م).

٣. صوت لبنان فى حرب السّنين؛ تحليل و تعليق (١٩٧٧م).

٤. ابوالطيب المتنبّى؛ شاعر العنفوان و الطموح (١٩٨٢م).

والذى تجدر الإشارة إليه هنا هو أنّى لم أقف على كاتب و باحث تعرّض لشعر جوزف الهاشم بهذا الشكل الذى درسه فى هذا المقال الذى بين أيديكم. إلا أنّ هناك مؤلّف «الإمام على(ع) فى الفكر المسيحى المعاصر» قد أشار إشارة عابرة إلى بعض أبياته فى مديح الإمام المرتضى(ع) مع التّحليل و التفسير (أنظر: هيفاء، ١٤٢٦: ١٧٤-١٧٥).

و أمّا السّؤال الأساسى الذى يبحث عنه المقال فهو؛ ما هى معالم أدب المقاومة فى شعر جوزف الهاشم؟ و الفرض الأساسى لهذا المسألة هو أنّه لقد استطاع أن يمزج بين أدب المقاومة و الأدب الملتزم بحبّ آل البيت(ع) فى أسلوب رمزى رصين يمتاز باستدعاء التّراث الدينى و التّاريخى. و هذا ما سنبحث عنه فى المقال.

١. عرض الموضوع

١-١- استدعاء التّراث الدينى فى ضوء المزج بين الأدب الملتزم بحبّ أهل

البيت (عليهم السّلام) و أدب المقاومة

إنّ الأدب الملتزم بحبّ آل الرسول (عليهم السّلام) ليس مختصّاً بالمسلمين فقط، بل قد يكون خالقه غير مسلم أيضاً؛ لأنّ حبّ أهل البيت (عليهم السّلام) هو حبّ الإيمان و الكمال و القيم الإنسانيّة السّاميّة، و المسلمون و غير المسلمين مشتركون فى هذا الحبّ (أنظر: سياحى، ١٣٨٢: ٣١).

و خير مثال للأدب المنطبع بالطابع الشيعى، هو مانجده لدى المسيحيين؛

للمواق النصرانى غديرية يقول فى مطلعها:

أليس بحمّ قد أقام محمدٌ عليّاً بإحضارِ المَلَأِ فى المَواسِمِ

(الأمينى، ١٤٣٠، ج ٣: ٤)

أو هذا هو «عبدالمسيح الأنطاكى» صاحب «القصيدة العلوية» فى (٥٥٩٥)

بيتاً منها:

للمرتضى رتبةٌ بعدَ الرسولِ لىدى أهل اليقين تناهتْ فى تعاليمها

كذا النَّصارى بحبِّ المرتضى شغفتْ ألبابها وشدّت فيه أغانيها

(الأنطاكى، ١٤١١: ٧١٠)

و أيضاً «بولس سلامة»، صاحب «ملحمة عيد الغدير» فى (٣٠٨٥) بيتاً.

مطلعها:

هكذا صهرَ أحمدَ يضىفَى نبله ملءَ سرحةِ الدهرِ فيا

(سلامة، ١٤١٠: ٣٤٠)

والذى نلاحظه فى هذا المجال أنّ هناك الذين أيضاً استمدوا فى أشعارهم من مناقب أهل البيت (ع) و هم على ملّة المسيح. و من هؤلاء؛ جورج شكور (ملحمة الرسول (ص)، ملحمة الإمام على (ع) و ملحمة الإمام الحسين (ع)) و جورج زكى الحاج (قصيدة الحسين (ع))، ريمون قسيس (سيدالشهداء و العلويات) و ويكتور الكك (قصائد فى الغدير و أهل البيت) و (و أنظر للتوسّع: هيفا، ١٤٢٦: ٩٥، ١٢٧، ٦٢٣).

و من كلّ ذلك يتبيّن لنا؛

(... ) و لتجدنّ أقربهم مودةً للذين آمنوا الذين قالوا إنّنا نصرارى ذلك بأنّ منهم

قسيسين ورهباناً وأنهم لا يستكبرون) (المائدة «٥» / ٨٢)

و هذا هو العلامّة، السيّد محمّد حسين فضل الله (رحمة الله عليه) يقول في الثقافة الشعريّة لشاعرنا، جوزف الهاشم، هكذا:

أن يكتب شاعر مسيحيّ شعراً في أهل البيت النبويّ الشريف ...

و أن تفتح عاطفته على المأساة في كربلاء لتمتد إلى المأساة في كربلاء الجديدة «قانا»، في شعر يبكي في أنشودة الفرح حيث تمتزج الذكرى بالبطولة روحاً و جهاداً، فتحسّ و كأنّ الشاعر يتحرّك في الحاضر كما لو كان في عمق مسيرة التاريخ. (الهاشم، ١٤٢٠: مقدّمة العلامّة: ٥).

و قد أتضح لنا من خلال شعره أن ميوله نحو التشييع مبني على أساس الحبّ الصادق الناشئ من المعرفة الأصيلة و العميقة المتجدّرة. و للعلامّة فضل الله أيضاً:

و شاعرنا، الأستاذ جوزف الهاشم، هو في امتداده النسبي، هاشمي ... و هو في قصائد الرائعة التي تهزّك في عليّ و الحسين و زينب(ع) و كربلاء و قانا، فتعيش معها آفاق السّموّ الروحيّ و العبقريّة المبدعة، و الشّهادة-العنفوان، و الماضي الذي يمنح الحضارة حركية الإنسان في امتداد الزمن، في حيوية الرّوح و البطولة و العنفوان، بعيداً عن التّعقيدات الطائفية القبلية .. (نفسه: ٨)

و أما شاعرنا، جوزف الهاشم، عاش طفولته في أحضان أسرة تنغني بانتماؤها إلى أهل البيت (عليهم السّلام) و تردّد قصصهم و فضائلهم بالفخر و الاعتزاز:

منذ أن كنت فتياً، كان محيطنا العائلي يتغنى بانتسابه إلى أهل البيت، و جُلّ ما كان يستهويه في مجالس المفاخرة بالأصول، أن يستذكر الإمام علي بن أبي طالب، على أنّه فارس الجهاد الأوّل و بطل امتشاق ذي الفقار. (نفسه: ١٠)

و أوّل حقيقة أخذ يبحث عنها في ريعان شبابه هي حقيقة أهل البيت (عليهم السّلام):

و رحّت - و أنا على مقاعد الدراسة- أنمّي هذا الحسّ البكر بالمطالعة، مترصداً الملمين جوانب شخصيته، التي ارتسمت في ذهني اليافع، كما ترسم صورة الأبطال في أذهان الأطفال. (نفسه)

و بعد أن استهوته شخصية الإمام(ع)، أخذ يتتبع في مدرسة أهل البيت(ع) قائلاً:

من تعرّف إلى شخصية الإمام على استهوته ... و من استهوته، أثرت فيه ...  
و من أثرت فيه .. اقتدى بها ... و من اقتدى بها، أصلح نفسه ... و من أصلح  
نفسه، تصالح مع الآخرين. (نفسه: ١١)

يطالع نهج البلاغة بالإعجاب و الحبّ و الشغف ليلتقى مع الإمام(ع) و يتقرّب  
منه؛ و من دنامنه، سوف يعيش مع أفكار الإمام و عقائده:

و من قرأ نهج البلاغة، أعجب بعلى ... و من أعجب به، أحبه ... و من أحبه،  
تقرّب منه ... و من تقرّب منه ... التقى معه ... و من التقى معه، تلاقى مع سائر  
الأديان و النّاس ... (نفسه: ١١)

و يؤكّد على دور أهل البيت(ع) فى إرشاد الأمة و ما على النّاس من حاجة  
ماسة إلى احتذاء حذوهم ليكونوا على دقة و بصيرة فى تحديد مصيرهم و حياتهم  
إلى يوم يبعثون:

نحن فى حاجة ملحة إلى تلمّس دربه لنكرم بشريتنا به، و إلى استلهام  
الروحانية التى فيه، لتحطيم الوثنية التى فىنا، و نبذ عبادة آلهة الحجر، و آلهة  
اللحم، و آلهة الذهب ... .

النظام العالمى القديم الجديد، هو الذى يربط النّفس البشرية بعلاقة حميمة  
مع الله لتسمو فى تطورها الارتقائى إلى تحصيل «السّعادتين»، و هو الذى ناضل  
من أجله الإمام ساعداً و لساناً و قدوة و استشهاداً، فإذا هو ثورة إنسانية و حاجة،  
تحدّد غاية الإنسان جوهرأ و روحاً و قيماً و كياناً و كينونة، و تستمرّ امتداداً  
حيويأ مع كلّ زمان و مكان، و قلّ: إلى يوم يبعثون. (نفسه: ١٢-١٤).

فها هو يبيّن سبب نزوعه إلى أهل البيت(ع) قائلاً مؤكداً على أن أهل  
البيت(ع) بأنهم ليسوا مختصين بالمسلمين و الشيعة دون سواهم، بل إنهم إمام لكلّ  
من يصبو إلى الفضائل الأخلاقية الغراء و يسير نحو الصّراط المستقيم؛

لَيْسَ الْإِمَامُ فَتَى الْإِسْلَامِ وَحَدَّهُمْ  
مَنْ كَانَ بِالنَّيْمِ الْغَرَاءِ مُعْتَصِماً  
بِالنَّبْلِ، بِالْحَقِّ، بِالْأَخْلَاقِ مَكْرَمَةً  
وَلَيْسَ وَفَقاً عَلَى أَبْنَاءِ شِيعَتِهِ  
بِالْبِرِّ، بِالرَّفْقِ، بِالتَّقْوَى، بِخَلَّتِهِ  
وَبِالشُّمُوحِ، فَهَذَا مِنْ سَلَالَتِهِ

لَا، لَسْتُ أَنْتَ إِمَامًا سَادَ شِيعَتَهُ      أَنْتَ الْإِمَامُ لِكُلِّ الْخَلْقِ وَ النَّسَمِ

(نفسه: ٦٥)

و لعلّه اشتاق إلى أهل البيت (ع) لأنهم ما اشتاقوا سوى إلى الجهاد و الاستشهاد:

وَكَانَ أَهْلَ الْبَيْتِ، مَا اشْتَأَقُوا سِوَى      دَرَبِ الشَّهَادَةِ، وَالْجِهَادِ مَرَامُ

و من هنا يتضح لنا كاملاً أن سبب التزام الشاعر بمدرسة أهل البيت (ع) و تعاليمهم يعود إلى عاملين: (أ) إنه يلتزم بفكرة أو عقيدة أو مدرسة تمتد جذورها إلى شريعة الإسلام الحقيقي الذي جاء به الرسول الكريم (ص) ثم تجلّى فى سيرة أهل البيت (ع) و هم عطية الهية لكل المسلمين، بل لكل البشرية.

(ب) إن الشاعر حرر نفسه من كل عصبية قومية أو طائفية و راح ينحو نحو السلالة أو الإصالة التى تدعو العقول و العواطف و من كل عصبية و جمود يدعوها إلى النزاهة و التضامن و الحقيقة و الجهاد و المقاومة.

و إذا سأل سائل عن سبب اختياره لمنهج أهل البيت (ع) يحدثنا عن طيب دوحته و انتماءها إلى الهاشميين و هكذا يجرى فى عروق الشاعر الحب لأهل البيت (ع) و الولاء لهم:

لَا تَسْأَلِي يَا ابْنَةَ الْإِسْلَامِ عَنْ قَلَمِي      إِنْ رَاحَ يَشْدُو بِأَهْلِ الْبَيْتِ مِثْلَ فَمِي  
الْهَاشِمِيُّ أَنَا، مِنْ طَيْبِ دَوْحَتِهِمْ      دَمُ السَّلَالَةِ يَجْرِي فِي عُرُوقِ دَمِي

(نفسه: ٥٧)

ثم يستغيت من ثمّ بالإمام (ع) ليعود مرة أخرى إلى هذه الدنيا الدنية، و يملاً تاريخ المسلمين بالعدل و الشجاعة و الكرامة و الطهارة و الرجاء بعد أن مُلاً فساداً و خوفاً و جوراً و مكرراً و خيانة و قنوطاً؛ ثم يسرد ما حلّ بالمسلمين من التفرقة و التخاذل و التهان و يدعو الإمام ليكسر حواجز الخوف و الخنوع و الاعتداء المسيطر، مثل ما فعل فى أبان تأريخ الإسلام. و يبلغ شاعرنا الذروة فى استنارة العواطف حين يقارن بين حياة المسلمين فى القديم و ما حلّ بهم فى عصرنا الرّاهن:

عُدْ يَا إِمَامًا، فَلِلتَّارِيخِ دَوْرَتُهُ      وَالْأَحْرَفُ السُّودُ وَشَتَّ بِيضَ صَفْحَتِهِ



ذَا حُصْنٍ حَيِّبٍ، مِنْ بَعْدِ الْهُوَانِ غَلَا  
 أَرْضُ الْقَدَّاسَاتِ مَادَتْ مِنْ مَفَاسِدِهِ  
 يَحْصِنُ الظُّلْمَ وَالطُّغْيَانَ، مُفْتَرَسًا  
 جَيْشُ الصَّحَابَةِ عَنْهُ ارْتَدَّ مُنْكَفِنًا  
 يَغْتَابُ زَنْدَكَ مُعْتَدًّا بِقُوَّتِهِ  
 وَ نَزْعَةَ الشَّرِّ تَارَتْ فِي شِرَاسْتِهِ  
 طَهَارَةُ الْأَرْضِ، مَدْفُوعًا بِنَزْوَتِهِ  
 وَالْإِنْقِسَامَاتُ بَاتَتْ مِنْ طَبِيعَتِهِ

(نفسه: ۵۲)

ثمَّ يتطرق إلى جوانب أخرى من حياة المسلمين التَّعَسُّة و يشير إلى أنَّ المسلمين و الأعراب أشدَّ احتياجاً اليوم باتباع سنَّة الإمام(ع) و خصاله الممتازة و الفريدة و يستعرض ما حلَّ بالجنوب من الاعتداء و العدوان مشيراً إلى ردود فعل الأعراب من الاستسلام و الصمت، ثم أخذ يستدعي الإمام(ع) ليعود إلى الجنوب و يجند الجماهير للتضحية و الجهاد من أجل الهدف الأسمى؛ المقاومة و المكافحة ضدَّ الظلم و الكيان الصهيوني و الدفاع عن الأراضي المحتلة؛

عَلَى اسْمِ حَيْدَرَةَ خَاضَ الْوُغَى أَسَدٌ  
 فِي التَّوَامِينِ صَهِيلٌ، وَالْجَنُوبُ صَدَى  
 عُدْيَا إِمَامٍ، فَإِنَّ السَّاحَ فِي ظَمَأٍ  
 هُزَّ الْمُهَنْدُ، تَنْدَكُ الْحُصُونُ، أَمَّا  
 مَا زَالَ يَذْكُرُ ذَاكَ الْحِصْنَ صَوْلَتَهُ  
 وَ بَيْرِقُ النَّصْرِ مَعْفُودٌ بِلُبْدَتِهِ  
 لَصْرَحَةَ الصَّمْتِ، فِي دُنْيَا عُرُوبَتِهِ ...  
 لِذِي الْفَقَارِ، وَ أَجَجَ نَارَ وَمُضْتِهِ  
 تَبَرَّمَ السَّيْفُ مَغْلُولًا بِهَيْدَتِهِ  
 بَشْرُ جَهَنَّمَ، وَ اصْقَلُ حَدَّ شَفْرَتِهِ

(نفسه: ۵۳-۵۴)

و أنت تجد في هذا كله، تقديم أفكاره في إطار التراث الديني لإنبات أصالته و ثقافته مع عاطفة الجوزف الصادقة و روحه اللبناينة- المسيحية، بل الشيعية المقاومة التي أحسن الترجمة و التعبير عنها في شعره الفصيح. و من هنا كنا لانبعد إذا قلنا إن لبنان أخذت تعرف في عصرنا الراهن شاعراً مسيحياً آخر يسيل شعره فكرة و عقيدة. إنه، كما رأيت، يجيش شعره بسيل دفاق من العاطفة و الوجدان و العقيدة و المقاومة و قلما تحس فيه أنه مسيحي من حيث العقيدة و الدين، و إنما يبدو لك و كأنه شاعر مخلص شيعي صدق ما عاهد الله في المكافحة ضدَّ البغي و الظلم، و هو كالبيان المرصوص.

فتری بوضوح فی مثل هذه الأبيات، العناية الربانية التي منحها الله إياه. لقد استلهم الشاعر في الأبيات التالية الصمود والمقاومة من شخصية الإمام (ع)، التي هي رمز للمسلم الحر الأبي:

هَلْ يَنْطَوِي دِينَ وَ أَنْتَ شَهِيدُهُ      وَ لَهُ بِشْمَخَةَ مَنْكَبَيْكَ دَعَامُ؟ ...  
 أَوْلَسْتَ رَمْزاً لِلصُّمُودِ وَ صَرَخَةَ      لِلْحَقِّ؟ أَنْتَ الْمَوْعِدُ الْبَسَامُ ...  
 هَبْنِي وَمِضْكَ فِي الْجَنُوبِ مَقَاوِمًا      لِأَلْمَوْتِ يَرْدُعُنِي، وَ لَا اسْتِسْلَامُ

(نفسه: ٢٥)

ألهت مأساة كربلاء نيران عاطفته حيث استوحى من مصائبها واستمد من معانيها في رسم مأساة كربلاء جديدة «قانا». ومن هذا المنطلق، يتضح لنا مدى دور ملحمة كربلاء في التاريخ وما تضرمت تلك الحماسة في النفوس من الصمود والجهاد والرسالة في عصرنا الراهن:

يَا كَرْبِلَائِي الْجُنُوبِ، سَكَبَتْهَا      رُوحًا، يَحْتُ جُمُوحَهَا الْإِقْدَامُ ...  
 يَا كَرْبِلَائِي الْجُنُوبِ، لَكَ الْمَدَى      الْعُمْرُ لَا شَيْبٌ وَ لَا أَعْوَامُ  
 تَمْضِي ... وَ شَلَالُ الشَّهَادَةِ هَادِرٌ      حَتَّى اقْتَفَتْ آثَارَهَا الْأَقْدَامُ

(نفسه: ٢٦ - ٢٧)

هذه الأبيات تذكّرنا «نزار قباني» و قصيدته «سميتك الجنوب» حيث أنشد و هو يجمع في شعره بين الأدب الشيعي و أدب المقاومة:

سَمِيَّتِكَ الْجُنُوبِ / يَا لَابَسَاءَ عَبَاءَةَ الْحُسَيْنِ / وَ شَمْسَ كَرْبِلَاءِ ... (قباني،

١٩٨٦: ٧٥)

ثم يشكو شاعرنا، من أمة تتخبط في ظلمات و ظنون و تيه و اضطراب و فقر ... التبس فيها الحلال بالحرام، و الحق بالباطل، و الصحيح بالزائف و يستدعي الإمام (ع) ليمنح هذه الأمة، العدالة و اليقظة و اليقين و الثبات و النور و الرجاء و يصلح ما فسد من الأخلاق و السياسة و الحكم، كما عمل في إصلاح الأمة أيام خلافته:

قُمْ يَا إِمَامُ، فَإِنَّ اللَّيْلَ مُعْتَكِرٌ      وَ «الْحِصْنُ» مُرْتَفِعٌ وَ الْأَفْقُ مُضْطَرَبٌ ...  
 قُمْ يَا إِمَامُ، وَ سِنَّ الْعَدْلِ فِي وَطَنِ      اللَّهُ أَعْلَمُ ... أَيْنَ الرَّأْسِ وَ الذَّنْبِ ...

رَجَوْتُكَ ... اَكْتُبْ لَوَالِيهِ، وَ غَامِلِهِ  
مَا جَاعَ مَنَافِقِيرٌ، طَوَّعَ سَاعِدَهُ  
لَأَنَّ «مَنْ ذَهَبَتْ أَخْلَاقُهُمْ ذَهَبُوا» ...  
مَالِ الْيَتَامَى حَرَامٌ، كَيْفَ يُسْتَلَبُ؟  
إِلَّا بِمَا مُتَّعَتْ أَشْدَاقُ مَنْ نَهَبُوا

(نفسه: ٣٩ و ٤١)

و من الملاحظ أنّ الشاعر يدعو فى هذه الأبيات، الجماهير إلى تبعية أهل البيت (ع) و اللّحوق بهم؛ لأنّهم حسب ما وصفهم النبى (ص)، سفينة نجاة من ركبها نجا و من تخلف عنها غرق، كما أكّد الشاعر على أنّ ولاء الأئمة و تبعيتهم تؤدّى فى نهاية المطاف إلى الصّواب و الحقيقة و الرّشاد:

يَا أَيُّهَا النَّاسُ، مَسْرَاكُمُ بَقَدْوَتِكُمْ  
تَوَسَّلُوا خَطْوَهُمْ فِي الْعَالَمِينَ هُدًى  
مَنْ يَسْتَشْفِ بِأَهْلِ الْبَيْتِ يَغْتَنِمِ  
لَا يَسْتَقِيمُ لَكُمْ حَقٌّ بغيرِهِمْ

(نفسه: ٤٧)

بناءً على ما مرّ، نجد أنّه يهدف من استدعاء هذه الشخّصيات الدّينية، التأكيد على دور التّراث الدّينى فى إحياء المقاومة و المكافحة، ثمّ إثبات أصالته الفرديّة و الشّعبية و بعده الدّعوة إلى الرّجاء و الأمل رغم احتلال الأراضى الإسلاميه من قبل الكيان الصّهيونى.

١-٢- استدعاء التّراث التّاريخى و الحنين إلى الشّعب العربى و الوطن

اللّبنانى و الماضى المجد

فإذا كان «حافظ ابراهيم» سمّى بشاعر «القومية العربية» و «الوطنية المصرية» حيث استشعر فى أعماقه محنة الأمة العربية و الشّعب المصرى بالاستعمار و الاستبداد و مايزولونهم بهما من ضرورت العسف و الظلم و التّنكيل الشّديد (أنظر: ضيف، ١٩٥٩ «تاريخ المقدّمة»: ١٣ / الفاخورى، ١٤٢٢: ١٤٣). فهذا هو شاعرنا، جوزف الهاشم، يحسّ فى أعماق كيانه محنة الشّعب العربى عامّة و الوطنية اللّبنانية خاصّة، محاولاً تجسيد آلام الشّعب الفلسطينى و اللّبنانى التّاجمة من الاحتلال الإسرائيلى و الصّمت العربى. إنّهُ ملأً روحه بحبّ وطنه فى عاطفة صادقة و قّادة و رفع صوته صارخاً من أعماق كيانه فى وجه المعتدى الغاصب داعياً أبناء أمته إلى الحرّية و النّضال و المكافحة ضدّ المحتلّين الاسرائيليين.

كما نشعر بملأ كياننا حبَّ الشاعر للأُمَّة الإسلاميّة من خلال الأبيات التّالية. و لا يغيب عن بال الشاعر أن يندد بالتّخاذل و المساومة و الذّل و الهوان أمام المعتدين مشيراً إلى أمجاد الأُمَّة الإسلاميّة و مناقبها من ذى قبل:

بَيْنِي وَ بَيْنَكَ، هَمْسَةٌ وَ كَلَامٌ      يَا أُمَّةً ضَاقَتْ بِهَا الْإِيَامُ  
سَكَنَتْ يَدَاهَا وَ اسْتَكَانَ حُسَامُهَا      وَ الْمَجْدُ، أَيْنَ الْمَجْدُ؟ كَيْفَ يَنَامُ؟  
كَمْ هَامَةٌ خَرَّتْ عَلَى أَقْدَامِهَا      عَبْرَ الزَّمَانِ، وَ كَمْ تَهَاوَتْ هَامُ!  
مَا بَالُهَا رَقَدَتْ عَلَى حُجْبٍ،      هَوَى أَسْيَادُهَا، وَ اسْتَفْحَلَ الْإِجْرَامُ  
فَتَقَهَّرَتْ، يَا وَيْلَهَا، مِنْ أُمَّةٍ      صَرَعَتْ أُمَّتَهَا، وَ غَابَ إِمَامُ

(الهاشم، ١٤٢٠: ١٧)

(المفردات: الهمسة: الكلام الخفى الذى لا يكاد يفهم / استكان: ضعف و كل / الحسام: السيف القاطع. و حُسام السيف: طَرْفُهُ الَّذِي يَضْرِبُ بِهِ / رَقَدَ: نَامَ / الْحُجْبُ: ج الحُجْبَةُ: المدة التى لاوقت لها/ استفحل: (الأمر): تَفَاقَمَ وَ اشْتَدَّ).

و فى هنا نجده يشيد بمكانة لبنان التاريخية و يفخر بأمجادها القديمة و مآثرها المسطرة فى صميم التاريخ واصفاً ما كان بها من قدرة و مجد:

وَ الْمَجْدُ يَا لُبْنَانَ، مَجْدُكَ وَ الْعُلَى      وَ عَلَى مَسَارَاتِ السَّلَامِ، سَلَامٌ

(المصدر السابق: ٢٨)

اللبنان، هذه، بلند يسود على تاريخها العزة و الكرامة رغم ما تحمّل، ما تحمّل، من المحن و المشقات و الصّعوب أمام التيارات الوافدة، كما أنّها كانت من البلاد التى تميّزت بالتعايش و التعاون و الوحدة رغم تنوعها الدينى و الثقافي، ثمّ يندد الشاعر بما يلفق الأعداء فى سلسلة من الأكاذيب حول التمزق القومية و الطائفية فى لبنان مشيراً إلى أنّها كانت من مهابط الوحي الإلهى و محطة الأديان، و أخيراً يؤكّد على شجاعتها و عظمتها فى الماضى و الحاضر؛

لُبْنَانَ يَا بَلَدًا عَزَّتْ مَآثِرُهُ      هَذَى الْمَآثِرِ، كَانَتْ سَرْمِخْتَهُ  
فِي ظِلِّهِ تَرْتَعُ الْأَدْيَانُ، مَا اكْتَمَلَتْ      أَرَكَانَ مَنَعْتِهِ إِلَّا بِوَحْدَتِهِ  
عَلَى مُحْيَاةٍ لَاحَتْ أَحْمَدِيَّتُهُ      وَ فِي الْجَبِينِ ضُحَى مِنْ عَيْسَوِيَّتِهِ  
قَوْمٌ مِنْ رَحِمِ الْبَارُودِ مُنْتَفِضًا      فَاحْفَظْ جَنَاحَكَ وَ اخْشَعْ تَحْتَ أَرْزُوتِهِ

(نفسه: ٥٤)

(المفردات: لَفَقَ: (الكلام): زخرفه و موَّهه بالباطل / الأرز: شجر عظيم صلب من الفصيلة الصنوبرية دائم الخضرة، يعلو كثيراً، تصنع منه السفن و أشهر أنواعه؛ أرز «لبنان»، و هو شعاره).

كما نراه يحمل على السُلطة الإسرائيليَّة التي كانت تتحكَّم فى فلسطين و جنوب لبنان و يهدِّدها، بل يوعدها بالموت و الهلكة و الفشل و الانهيار و يبرهن لها بماثر لبنان فى عبر التواريخ و الأساطير و أنشأ منها ملحمة تمتاز بالفخر و الطموح:

أَيُّهَا الْعَاصِبُ الْمَكَابِرُ، مَهَلًا  
هَذِهِ الْأَرْضُ، دُونَهَا خَرَّتْ الْأَرْضُ  
أَرْضُ قَدْمُوسَ يَحْمِلُ الشَّمْسَ لِلْغَرْبِ  
أَرْضُ دَيْدُونِ، يَا إِلَهَةَ فَتَحِ  
حَدُّكَ الْحَتْفُ، فَاسْمِعِ الْبُرْهَانَ:  
تَهَيَّزُ الْعُرُوشَ وَ التَّجَانَا  
حُرُوفًا وَ يَرْفَعُ الصَّوْلَجَانَ  
وَ الْهَنْبِيعِلُ رَوْضَ الرُّومَانَا

(نفسه: ٧١)

(المفردات: القَدْمُوسُ: القصة من أصل أسطوري يوناني، قد جاء فى أساطيرهم أنه لما اختطف «روش» كبير الآلهة، أو رب بنت ملك صيدون، لحق بها قدموس إلى بلاد الأغارقة يسترد أخته. و فى «البيوسى» قتل تينياً كان قد فتك باثنين من رجاله، و بأمر إلهة الحكمة بذرأ أضراسه فى الأرض، فأنتبت رجالاً شاكى السلاح اقتتلوا إلا خمسة أصبحوا فى ما بعد نبلاء ثيبة، أولى مدن مئة و إحدى سوف بينها قدموس و أوروب هى التى أعطت الغرب اسمها كما أعطاه قدموس حروف الهجاء أداة المعرفة (ر. ك: الفاخورى، ١٤٢٢: ٦٧٥). يحمل الشمس للغرب حروفاً، إشارة إلى الحروف الأبجدية التى اكتشفها الفينيقيون و نشرها فى العالم. و تقول أسطورة قدموس إنه حمل الأبجدية إلى أوروبا / ديدون: أو أليسا، ابنة صور، أسست امبراطورية قرطاجة و هنيبعيل: قائد قرطاجى هدد عرش روما، و استمرَّ يهاجمها على الأرض الإيطالية خمس عشرة سنة).

وفى مثل هذه المجالات يشبهه بشاعرنا سميح القاسم حيث يصرح فى قصيدته «ثورة مغنى الربابة» بأمجاد المسلمين و مفاخرهم داعياً إلى الأخذ بشأر فلسطين المذبوحة:

يَا أُمَّتِي ..... أَحْكِي لَهُمْ عَن مَّجْدِكَ الْمَاضِي وَ اغْرِيهِمْ بِنَارِكَ.....(القاسم

(١٩٨٧:٢١٥)

و فی هنا یخاطب الجنوب بلبنان قائلاً؛ أنت أرض الكرامة، تطهر الأجسام و الأرواح، أنت فصل الطيب و الربيع فقبلاً لإسرائيل التي أغارت على جنوبك في ذلك الشهر (نيسان)، أنت أرض التوحيد و الإيمان و تلك الآية التي توحد و تجمع الأديان و المذاهب، المسلم و المسيحي يعترفان بفضلك كلاهما، يالبنان! أنت ملأت الدنيا و شغلت الناس بك، أنت شجاع بطل لا تخاف من العدو و أصحاب القدرة، مهما قويت شوكتهم، تقتحم الأهوال و الصعاب دونما خوف و ذعر. لك تاريخ مجيد و عريق تأصلت جذوره في عز و كرامة:

يَا تَرَابَ الْجَنُوبِ يَا مَنْتَ الْعِزِّ،      بُخُورًا، يُطِيبُ الْأَبْدَانَا ...  
أَنْتَ نَيْسَانُ وَالشَّدَا، وَ رَيْعٌ،      قَبِّحَ اللَّهُ ذَلِكَ «النَيْسَانَا»  
أَنْتَ وَحَى الْمُوحِدِينَ وَ آيٌ      تَرَابُ الصَّدْعِ، تَصْهَرُ الْأَذْيَانَا  
وَ صَلَاةٌ عَلَى اسْمِ لُبْنَانَ تَتَلَى      وَ صَلِيبٌ يُجَوِّدُ الْقُرْآنَا  
هُوَ لُبْنَانُ، شَاغِلُ الْكُونِ وَ النَّاسِ      شَقَى، لَا يَرْهَبُ السُّلْطَانَا  
يَرْكَبُ الرِّيحَ، يَطْفُفُ النَّجْمَ، يَلْهُو      يَقْحُمُ اللَّيْلَ، ضَاكِحًا غُضْبَانَا  
هُوَ صِنُ الزَّمَانِ، تَوَامٌ عُمُرٍ      إِنْ تَرَاخَى الزَّمَانُ، أَوْ لَانَ، لَانَا

(نفسه: ٧٨ - ٧٩)

(المفردات: «النيسان»: في شهر «نيسان» أغارت إسرائيل على جنوب لبنان/

تراب: يصلح/ تصهر: صهر الشيء بالنار و نحوها: أذابه/ يقحم: في الأمر: يدخل فيه بغير روية/ الصنو: النظير و المثل و الأخ الشقيق).

و فی هنا یقول و هو یخاطب «صیدا» قائلاً؛ إنَّ صيدون، هذه، تمرّد على الاستبداد الفارسی و استعصوا أمامه حيث حاصرها الملك الفارسی؛ إنهم أقفلوا أبواب مدينتهم و أحرقوها بمن فيهم حتّى لا يسيطر العدو عليها، هي مدينة عرفت بالعزة و الصمود و الشرف؛ إذ تحرق نفسها خوفاً من أن تذلل و تمسّ، و فيك بحر هو سيّد البحار و أعزّها في مواجهة الطغاة:

تَلُكُ صَيْدُونُ، تَجَبُّهُ الْفُرْسُ، تَهْوِي      رَقِصَةُ الْمَوْتِ، تُشْعَلُ الْمِيدَانَا

تَعَشَّقُ النَّارَ، تَأْتَفُ الْعَارَ، تَمْضَى  
لَا رُضُوحٌ، وَلَنْ تَمُوتَ هَوَانًا  
نُصِبَتْ «سَيِّدَةَ الْمَحِيطِ»، خَفِيرًا  
يُلْجَمُ الْبَيْمَ، يَزْجُرُ الْعَصِيَانَا  
حِينَ مَسَّتْ أَقْدَامُهَا الْمَاءَ، رَاخَتْ  
جِبْهَةَ الْبَحْرِ تَلْتِمُ الشُّطَانَا

(نفسه: ٧٢)

(المفردات: تلك صيدون، تجبه الفرس: إشارة إلى تمرّد صيدا على الاستبداد الفارسي، و عندما حاصرها الملك أرتخششتا، أقفل الصياديون أبواب مدينتهم و أحرقوا بمن فىها حتى لا تقع فى أيدي عدوهم/ صيدا نصبت سيده البحار، و كذلك صور).

و هكذا يستمرّ فى ذكر فضائل «صور» باعتبارها مدينة الصمود و المقاومة و يستعرض ما جرى لها فى التاريخ فاتّسمت بالشجاعة و المقاومة و ها هى الآن تقاوم أمام الاحتلال الصهيونى مزرّجة بدماء الشهداء الزكية:

أَنْتِ يَا صُورُ، قَلْعَةُ الدَّهْرِ، نَسْرُوْ  
أَحِيرَامُ يَرْفَعُ الْجُدْرَانَا  
دُونِكَ الزَّاحِفُ الْأَشُورِيُّ يَهْوَى  
وَالْأَسَاطِيلُ، تُتَخَمُ الْحِيَانَا  
جَلَجَلَتْ بَابِلُ، فَشَارَ شُمُوحُ  
فِي حِصَارِ التَّارِيخِ، حَتَّى اسْتَكَانَا  
وَجُمُوحُ «القرنين» أَعْيَاهُ سُورُ  
يَوْمَ صُورٌ تَمَرَّدَتْ عُنْفَوَانَا  
إِرْجَوَانِيَّةُ الصَّبَاغِ تَحَلَّتْ  
عَشْتَرُوتُ بِهِ، فَزَيْنَ بَانَا  
حَسْبُ قَانَا أَنْ تَصْبِعَ الْأَرْضَ بِالْقَانِي  
رِدَاءً يَسْتَلْطِفُ الْأَرْجَوَانَا

(نفسه: ٧٣ - ٧٤)

(المفردات: دونك الزاحف الأشورى: حاصر الأشوريون بأسطولهم صور البحرية فتحطمّ عند أول معركة مع الأسطول الصورى / جلجت بابل ... : حاصر نبوخذ نصر البابلى - الكلدانى، مدينة صور و قد استطاعت أن تقام الحصار ثلاث عشرة سنة / جموح القرنين ...: إشارة إلى الحصار الذى ضربه الإسكندر ذوالقرنين على صور / أرجوانية ...: اشتهرت صور باكتشاف الصباغ الأرجوانى، و تذكر الأساطير أن أول ثوب أرجوانى صورى قدمه هرقل الفينيقي إلى الإلهة عشتروت / قانا: البلدة اللبنانية، التى ارتكب الإسرائيليون فيها مجزرة أودت بحياة

الأطفال والنساء والعجزة، فى إطار حملة الغزو التى اجتاحت الجنوب فى نيسان ١٩٩٦م، و هذه الحملة أطلق عليها الإسرائيلون اسم «عناقيد الغضب» و فى هذا المقطع من القصيدة نجده يتغنى بلبنان و الدماء الحسينية التى تجرى فى عروقه، و يعرب عن إستيائه لما حلّ ببلده من التهاون العربى، بل بالأحرى، من النكبة العريية، مستنكراً موقف الحكومات العربية من أحداث جنوب لبنان مشيراً إلى دور المؤامرات فى تلك التخاذلات و التهاونات التى أدت السلطات العربية إلى اتّخاذ موقف سلبى حيال أحداث الفلسطينيين و اللبنان؛

يَا جُنُوبًا فِدَّتْكَ أُمَّةٌ عُورِبَ      كُنْتُ فى رَفَعِ مَجْدِهَا الْقُرْبَانَا  
مَلْحَمَى الْجِهَادِ، تَسْكُبُ رُوحًا      كَرِبْلَائِيَّةً تَهْرُؤُ الزَّمَانَا  
اسْمُهُمْ تَرْفَعُ اللّوَاءَ خُضِيبًا      يَا شَقِيقًا، تَفَقَّدَ الأَخْوَانَا  
بَعْضُهُمْ تَاهَ فى غِيَاهِبِ حُلْمٍ      يَعْصِبُ الذِّيلَ، يَفْتَنَى العُمِيَانَا  
بَعْضُهُمْ يَنْتَشِي بِخَمْرِ الدَّوَالِي      و «العناقيد» تَبْهَرُ السُّكْرَانَا

(المفردات: تاه: ضلّ و ذهب متحيراً/ الغياهب: ج الغيب: الظلمة و العفلة/ يعصب: يقبض/ عناقيد الغضب: الاسم الذى أطلقته إسرائيل فى اجتياحها جنوب لبنان نيسان ١٩٩٥م، و كانت مجزرة بلدة «قانا»).

الأعمال الوحشية التى ترتكها أيدى الصّهيانة الأثيمة بين فينة و أخرى أثار موجة الغضب لدى الشاعر و جعلها و كأنّها بركان ثائر أو أمواج مضطربة متلاطمة من البحر الهائج تجتاح و تجرف كلّ ما يعترضه و هكذا يجب أن يكون كلّ مسلم مؤمن بقضيّته و عقيدته؛

كَيْفَ نَرْضَى، وَ يُسْتَبَاحُ حَرَامٌ      وَ دَخِيلٌ يَسْتَوِطُنُ الأَوْطَانَا  
مَنْ يَرَى «الْقُدُس» و «الْقِيَامَةَ» و «الإسْرَاءَ»      شَرَعًا مُطَوَّبًا لِسَوَانَا؟  
مَنْ يَرَى الْمَسْجِدَ الشَّرِيفَ «كُنَيْسًا»      وَ الطَّوَاغِيَتِ تَعْقِفُ الصُّلْبَانَا؟  
زَلْزَلُ الأَيْدِي يَا جُنُوبُ بِهِوَجٍ      عَاصِفَاتٍ، وَ فَجَّرَ الطُّوفَانَا  
أَفْرَدَتْكَ الأَيَّامُ فى أُمَّةِ العُرْبِ      وَ حِيدًا يَتَأْتَمُّ «الجَوْلَانَا»  
لَا تَبَالِى فى الشَّامِ زَيْرٌ      هَيْبَةُ اللَّيْلِ تَقْمَعُ الطُّغْيَانَا



(المفردات: القيامة: كنيسة القيامة فى القدس / الإسراء: إسرائ النبى من المسجد الحرام فى مكة إلى المسجد الأقصى فى القدس / الكنيس: معبد يهودى / تعقف: انعقف الشىء: انحنى و التوى / الهوج: ج الهوجاء: من الرياح: المتداركة الهبوب كأن بها هوجاً/ يتائم: التئوم: المولود مع غيره فى بطن واحد/ الجولان: مدينة فى جنوب لبنان).

إنه فى هنا يشبه بشاعرنا، احمد مطر، حيث صرخ من تخاذل الحكام و الهوان تجاه قضية اللبنا و الفلسطين (أنظر: سعدون زاده، ١٣٨٨: ٤٢)؛  
صَفَتِ النَّيَّةُ يَالْبِنَانَ / صَفَتِ النَّيَّةُ / لَمْ نُهْمَلِكِ وَ لَكِنْ كُنَّا ... / فَتَهَانِنَا يَا لِبْنَانَ /  
جَامِعَةُ الدُّوَلِ الْعَرَبِيَّةِ ... (مطر، ١٩٨٤، ج ٣: ٤٥).

يتحدث شاعرنا أخيراً عن الأمل و الرجاء أيضاً كما يندد بالتخاذل و التهانون أمام العدو الصهيونى و وجوده ثقة كله بالأبطال و المجاهدين الذين يذودون عن حياض الوطن أمام العدو الغاصب. الأمل، فى رأيه، مازال حياً عند هذا الشعب الذى لا يؤمن بمسارات السلام و التفاوض و يناضل مناضلة مستميتة ضد الاحتلال الأجنبى:

وَ زَرَعَتْ أَرْضَكَ بِالْجِرَاحِ فَازْهَرَتْ      وَ إِذَا خَطَوْتَ تَفَتَّحَتْ أَكْمَامُ  
وَ الْمَجْدُ يَا لِبْنَانَ، مَجْدَكَ وَ الْعُلَى      وَ عَلَى مَسَارَاتِ السَّلَامِ، سَلَامُ

(الهاشم، ١٤٢٠: ٢٨)

و نراه يرسم لمستقبل لبنان بنضال أبطالها و أحرارها غداً مشرقاً و مستقبلاً زاهراً:

جُرْحُ الْجَنُوبِ نَجِيعٌ وَ التُّرَابُ دَمٌ      وَ الْجُرْحُ إِنْ يَرَوْ بِالْتَّحْرِيرِ يَلْتَمِمَ

و تحقيق هذا المستقبل و التمام هذه الجروح لا يتأتى إلا فى مسير الاستشهاد و الجهاد و النضال أمام الطغاة و المحتلين:

حَطَمَ الرَّمَسَ وَ أَخْلَعَ الْأَكْفَانَ      لَا يَمُوتُ الشَّهِيدُ فِي عُرْسِ قَانَا  
طَرَبَ الصَّوْتِ فَالْشَّهَادَةُ بَعَثُ      وَ حَيَاةٌ تَسْتَقِرُّ الْجُثْمَانَا  
وَ امْتَشَقِ مِنْ عِظَامِ قَبْرِكَ سَيْفًا      تَأْتُرُ النَّصْلَ يَرْدَعُ الْعُدُونَا

(نفسه: ٧١)

إنَّ ما مرّ معنا، يُوكِّدُ إلى أنَّ الشَّاعرَ، يقصدُ من توظيفِ التَّراثِ التَّاريخيِّ و ما ينطوي عليه من أمجاد و مفاخر، رمزاً لأهميَّة الأصالَةِ التَّاريخيَّةِ و الثَّقافيَّةِ في قضية وطنه المحتلِّ أمامَ العدوِّ الَّذي شرَّدَ المسلمين من أوطانهم.

### ١-٣. كشف القناع عن وجه العدو الصهيوني

إنَّ الكيانَ الصَّهيوَنِي في شعر جوزف الهاشم، هو ذلك الدَّولة الَّتِي تشكَّلَ خطراً على السَّلامِ العالَمي؛ سياستها سياسة التَّوسُّعِ و التَّحكُّمِ و التَّكاثرِ و الاعتداء، قد شرَّدَ الشَّعبَ الفلَسطينيَّ من أراضى آباءه و أجداده و قد احتلَّ لبنانَ بهجومِ غاشمٍ غادر دون الاهتمامِ بالمسائلِ الإنسانيَّةِ و الاتِّفَاقِيَّاتِ الدَّوليَّةِ، سريعِ البطشِ بالأطفالِ و الأبرياءِ و الشَّعبِ العزَّلِ، قد حشدَ قواته في البحرِ و الجوّ و هويتهُ من مواجهةِ الأبطالِ في ساحةِ الحربِ؛ فالشَّاعرُ يخاطبُ هذا العدوَّ الغاصبَ المغتطفِ و يهدِّدهُ بالموتِ و الهلاكِ قائلاً: هل تعرفُ مجد هذه الأُمَّة الَّتِي خرَّ الأعظامُ و الملوكُ أمامها ساجدين خاضعين:

أَيُّهَا الغَاصِبُ المُكابِرُ مَهلاً  
حَدُّكَ الحَنَفُ فَاسمَعِ البُرْهانَا  
هَذِهِ الأَرْضُ دُونَهَا خَرَّتِ الأَرْضُ  
تَهزُّ العُرُوشَ وَ التَّيجَانَنا

(نفسه: ٧١)

هذه الدَّولةُ يحكمُ الشَّيْطانُ على مصيرها؛ لأنَّها لا تفكِّرُ إلاَّ بسفكِ الدماءِ و قتلِ الأبرياءِ و لاتزال غيرِ مكترثٍ بالمثلِ الدَّينيَّةِ و الإنسانيَّةِ و الأخلاقيَّةِ و لبئسَ المصير:

أَرْضَ صَهيونَ، يَا بِلادَ دِماءِ  
حَكَمْتَ في مَصرِها الشَّيْطانَا  
تَقْتُلُ الأَنْبياءَ، تَغْتالُ يَهُوَهَ،  
تُنكِرُ اللّهَ، تَدْبِحُ الإنْسانَا  
دَأْبُهَا الصَّلْبُ، هَلْ تَمَثَّلَتْ عِيسَى  
ناصِرياً مُعلَقاً عَريانَا

(نفسه: ٧٥)

و يخاطبُ الشَّاعرُ المَسيحي الرِّسولَ (ص) و كأنَّه إنسانٌ مسلمٌ معتذراً لإيَّاهِ مشيراً إلى ما أوصى به النَّبِيُّ الأَكْرَمُ (ص) في رعايَةِ الجارِ قائلاً: عَفِوا يا رِسولَ اللّهِ إذا كانَ الجيرانُ مثلَ هذا الجارِ (العدوِّ الصَّهيوَنِي) الَّذي يقتلُ الأطفالِ و الأبرياءِ فلا

يستحقون منا احتراماً بل نقوم بلعنهم لعناً أديماً مخزياً؛ ذلك لأنهم بسبب هذه الجرائم الشنيعة البشعة لم يعودوا صالحين لوصاياك الثمينة:

أَيْنَ ذَاكَ الْجَبَّارِ سَمَوْهُ جَاراً      عَفَوْتَ فَلْنَلْعَنَ الْجَبْرَانَ  
جَارٌ يَسْتَفْرِدُ الطُّفُولَةَ بِالنَّهْشِ      وَيَرْوِي افْتِرَاسَهُ الظَّمَانَ

(نفسه: ٧٤)

هذا الجبان الذى استولى عليه الرعب والخوف والقلق أثر أن يشن الحرب على لبنان بحراً و جواً ليريق دماء الأبرياء بهذا الطريق هارياً من مواجهة الأبطال و المجاهدين فى ساحة الحرب:

إِنَّهُ الْفَدُّ لَيْتَ يَنْزِلُ سَاحِأً      يَتَصَدَّى يُنَازِلُ الشُّجْعَانَ  
فَرٌّ فِي لُجَّةِ الْبَحَارِ كَمَا الْجَزْرُ      خَسِيساً وَ الْمَوْجُ يَطْوِي الْجَبَانَ  
وَ اسْتَظَلَّ الْعَمَامُ يَمْطِرُ سَمَاءً      يَرْتَدِي الْأَفْقُ، يَتَقَسَّى الْفِرْسَانَ

(نفسه: ٧٤-٧٥)

فقضية السلام لا تسمن و لا تغنى من جوع إذا الصهانية يمكرون و يخدعون: هُمُ الْيَهُودُ، وَ مَا نَفَعُ «الْمَسَارِ» إِذَا سَأَلْتَهُمْ غَدْرُوا، هَادَتْهُمْ وَ تَبُوا

(نفسه: ٤٠)

و هكذا يكشف، شاعرنا، القناع عن وجه الكيان الصهيونى.

## النتيجة

بناءً على التفاصيل التى طرحتها، نستشف من خلالها، هذه النكات التالية:

١. الجمع بين الالتزام الدينى بحب آل البيت (ع) و بين الالتزام الوطنى و القومى، ثم التنديد بالغفلة و الخنوع و الصمت فى ساحة المكافحة أمام العدو الصهيونى، و الدعوة إلى الحرية و الرجاء و اليقظة و الوحدة ضد الاحتلال، تعدد أشهر و أبرز موضوعات جوزف الهاشم الشعرية فى حقل أدب المقاومة.

٢. أهل البيت (ع) هم رموز المقاومة الإسلامية فى شعره و لهم مكانة شامخة فى آراء شاعرنا المسيحى، حيث يخاطبهم و يستدعيهم أكثر من مرة لتخطيم الوثنيات الجديدة التى استهوت الأمة الإسلامية و لعله يحاول ليهتديهم فى الظلماء

و القنوط إلى مصادر الجهاد و الصمود و الشهادة و النور و الرجاء لكسب العزة و الخلود.

٣. رغم انتماء الشاعر إلى الديانة المسيحية، لكننا نجد أن التراث الديني - الشيعي، يحتل حيزاً كبيراً في أشعاره. و من هذا المنطلق، يبدو أنه يهدف من استخدام الرموز الدينية التي تجلت في ضوء الشخصيات الشيعية، إلى إنبات أصلته الدينية و الحفاظ على هويته الثقافية رغم هيمنة العدو الصهيوني على الأوضاع الثقافية و الهجمات التي يشنها على الدين و الثقافة.

٤. إن الشاعر أخذ في شعره المقاوم يستحضر قسماً كبيراً من التراث التاريخي للوطن اللبناني و الفلسطيني و ليس ذلك إلاّ تحدياً للكيان الصهيوني و ادعائه الباطل للأوطان الإسلامية استناداً إلى افتراءات الديانة و التاريخية.

٥. إنه يبذل الجهد في شعره لأن يكشف القناع عن وجه الكيان الصهيوني الحقيقي و يعطى الشعوب العربية و الإسلامية، الوعي و اليقظة أمام مخططات العدو.

٦. شعره في أدب المقاومة يصور روحه و نفسيته و عقيدته إزاء قضية الاحتلال في لبنان و فلسطين؛ كلماته تعبّر عن الأسى و الحزن و الحسرة تجاه مأساة الاحتلال كما راحت توقظ الضمائر النائمة و القادة المتآمرة و المرتزقة فهو يصرخ بأعلى صوته و من أعماق قلبه و كيانه. و أضف إلى ذلك، أن شعره يعبر عن عاطفة صادقة متوقّدة بحبّ آل الرسول (ع) و نفس تؤمن بكرامتهم و نباهم و مناقبهم و حاجة البشرية في عصرنا الراهن إلى اتباع منهجهم و تعاليمهم.

#### المصادر

١. القرآن الكريم.
٢. الأمينى النجفى، عبدالحسين أحمد (١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م)؛ الغدير فى الكتاب و السنّة و الأدب، الطبعة الخامسة، بيروت، دارالكتاب العربى.
٣. الأنطاكى، عبدالمسيح (١٤١١هـ - ١٩٩٠م)؛ ملحمة الإمام على(ع)، بيروت، مؤسسة الأعلمى.
٤. سعدون زاده، جواد (١٣٨٨ هـ ش)؛ مظاهر أدب المقاومة فى شعر أحمد مطر، نشرية ادبيات پایداری، دانشکده ادبيات دانشگاه شهيد باهنر کرمان، سال اول، شماره ١ اول.

٥. سلامه، بولس (١٤١٠ هـ ق - ١٩٩٠ م)؛ عيد الغدير، نشر المؤسسة الثقافية لهيئة أنصار الحسين (ع).
٦. سياحي، صادق (١٣٨٢ هـ.ش)؛ الأدب الملتزم بحب آل البيت (ع)، الطبعة الأولى، طهران، سمت.
٧. القاسم، سميح (١٩٨٧)؛ ديوان سميح القاسم، بيروت، دار العودة.
٨. الفاخوري، حنا (١٤٢٢ هـ ق - ١٣٨٠ هـ ش)؛ الجامع فى تاريخ الأدب العربى (الأدب الحديث) الطبعة الأولى، قم، ذوى القربى.
٩. قباني، نزار (١٩٨٤ م)؛ الأعمال اشعرية الكاملة، اطبعة الرابعة، بيروت، منشورات نزار قباني.
١٠. مطر، احمد (١٩٨٤ م)؛ لافتات، الكويت.
١١. الهاشم، جوزف (١٤٢٠ هـ ق ١٩٩٩ م)؛ علويات: قصائد من وحى الإمام على (ع)، الطبعة الأولى، بيروت، لبنان.
١٢. هيفا، راجى أنور (١٤٢٦ هـ) ٢٠٠٥ م)؛ الإمام على (ع) فى الفكر المسيحى المعاصر، الطبعة الأولى، لبنان، دارالعلوم.
١٣. الصحف و الانترنت:
١٤. پایگاه خبری حوزه ی هنری سازمان تبلیغات اسلامی:  
[www.hozehonari.com](http://www.hozehonari.com)
١٥. روزنامه كيهان، شنبه ٢٠ آذر ١٣٨٩ هـ.ش، شماره، ١٩٨١٢.
١٦. سازمان فرهنگ و ارتباطات اسلامی: [www.icro.ir](http://www.icro.ir)
١٧. صحيفة البناء، اللبّان، السنّة الثانية/ الثلاثاء، ٢٨ كانون الأول ٢٠١٠ م، العدد ٤٩٢.
١٨. \_\_\_\_\_، السنة الثانية/ الإثنين، ٢٣ آب ٢٠١٠ م، العدد ٣٩٠.
١٩. صحيفة الحياة الجديدة، اللبّان، الأربعاء، ٢٤ / ١١ / ٢٠١٠ م، العدد ٥٤٠٨.
٢٠. صحيفة الديوان، اللبّان، السنّة الخامسة عشرة، ٢٤ / ١١ / ٢٠١٠ م، العدد ٥٣٣٧.